على ارجلهم ولكن فوق رحالها الذهب ونجايب سروجها يواقيت ان هموا بها
سارت وان هموا طارت ونسوق المجرمين بكفرهم الى جهنم وقوله تعالى
وردا حال اي مشاة باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش تساق الى
الماء وقيل عطاشا قد تقطعت اعناقهم من العطش لا من برد الماء لا يرد الا
بعطش وحقيقة الورود المسير الى الماء وقوله تعالى لا يملكون الشفاعة الضمير
فيه للعباد المدلول عليهم بذكر المتقين والمجرمين وقيل للمتقين وقيل
للمجرمين وقوله تعالى الا من اتخذ عند الرحمن عهدا استثنا متصل على القولين
الاولين منقطع على الثالث والمعنى ان الشافعين لا يشفعون الا لمن اتخذ
عند الرحمن عهدا اوجب دخوله فيه وصاحب الكبيرة اتخذ عند الرحمن
عهدا وهو التوحيد فوجب دخوله تحته ويوكده قوله ما روى ابن مسعود
انه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ
عند كل صباح ومسا عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل
صباح ومسا اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني
اعهد اليك باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك
ورسولك فلا تكلني فانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني
من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفينيه يوم القيمة
انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع الله عليه بطابع ووضع تحت
العرش فاذا كان يوم القيمة نادى مناد اين الذين لهم عند الرحمن عهدا
فيدخلون الجنة فظهر ان المراد من العهد كلمة الشهادة وظهر وجه
الدلالة على ثبوت الشفاعة لاهل الكباير ولما رد سبحانه وتعالى
على عبدة الاوثان عاد الى الرد على من اثبت له ولدا بقوله تعالى وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا اي قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح
ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله لقد جئتم شيئا ادا قال
ابن عباس اي منكرا وقال قتادة اي عظيما وقال ابن خالويه الاد
والاد العجب وقيل العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر وادني اثقلني
وقرا تكاد السموات نافع والكسائي بالياء على التذكير والباقون بالتاء
على التانيث وقرا ينفطرن منه ابو عمرو وابن عامر وشعبة وحمزة
بعد اليا بنون ساكنة وكسر الطا مخففة والباقون بعد اليا
بتا وفتح الطا المشددة يقال انفطر الشي وتفطر اي تشقق
وقراءة التشديد ابلغ لان التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع
فعل ولان اصل التفعل التكلف وتنشق الارض اي تنخسف
بهم وتخر الجبال هدا اي تسقط وتنطبق عليهم ان دعوا اي من
اجل ان دعوا للرحمن ولدا قال ابن عباس وكعب فزعت السموات

والارض

والارض والجبال وجميع الخلايق الا الثقلين وكادت ان تزول وغضبت
الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا لله ولدا فان قيل كيف يوثر القول في
انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال اجيب بوجوه الاول
ان الله تعالى يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود
هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي واني لا اعجل بالعقوبة
الثاني ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا وتصويرا لاثرها في الدين
وهدمها لقواعده واركانه الثالث ان السموات والارض والجبال تكاد تفعل
ذلك لو كانت تعقل هذا القول ثم نفى الله تعالى عن نفسه الولد بقوله
تعالى وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا اي ما يليق به اتخاذ الولد لان ذلك محال
اما الولادة المعروفة فلا مقالة في امتناعها واما التبني فان الولد لا بد وان يكون
شبيها بالوالد ولا شبيه لله تعالى لان اتخاذ الولد انما يكون لاغراض اما من سرور
او استعانة او ذكر جميل وكل ذلك لا يصح في حق الله تعالى ان اي ما كل من في
السموات والارض اي ان كل معبود من الملائكة في السموات والارض من الناس
منهم العزير وعيسى الا اتي الرحمن اي ملتجي الى ربوبيته عبدا منقادا
مطيعا ذليلا خاضعا كما تفعل العبيد ومن المفسرين كالجلال المحلي من حمله
على يوم القيمة خاصة والاول اولى لانه لا تخصيص في الاية لقد احصاهم
اي حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزه علمه وقبضته وقدرته
وكلهم تحت تدبيره وقهره وعدهم عدا اي عد اشخاصهم وايامهم وانفا سهم
وافعالهم فان كل شي عنده بمقدار لا يخفى عليه شي من امورهم وكلهم اتيه
اي كل واحد منهم ياتيه يوم القيمة فردا اي وحيدا ليس معه من الدنيا
شي من مال او نصير يمنعه ولما رد سبحانه وتعالى على اصناف الكفرة
وبالغ في شرح احوالهم في الدنيا والاخرة ختم السورة بذكر احوال المومنين
فقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اي سيحدث
لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها من قرابة او صداقة
او اصطناع معروف او غير ذلك روى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال
اذا احب الله عبدا يقول لجبريل احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي
في اهل السما ان الله احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السما ثم توضع له المحبة
في الارض واذا ابغض الله العبد قال مالك لا احسبه الا قال في البغض
مثل ذلك والسين في سيجعل اما لان السورة مكية وكان المومنون حينئذ
ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا قوي الاسلام والمعنى سيحدث
لهم في القلوب مودة واما ان يكون ذلك يوم القيمة يحببهم الله الى خلقه بما يظهر
من حسناتهم وروى عن كعب قال مكتوب في التوراة لا محبة لاحد في الارض
حتى يكون ابتداوها من السما من الله عز وجل ينزلها على اهل السما ثم على

Copyright King Saud University